

الصين

(تمة ما سبق)

وللامبراطور في الصين السلطان المطلق حتى في شرائع المملكة يلغى منها ما يشاء ويسن ما يشاء والصينيون يعظمونه الى جد لا ينحط عن مقام العبادة ومن خالفه منهم فهو الذنب الذي لاتسعه مغفرة ولا تقبل فيه شفاعا . وهو لا يخرج من بلاطه الا في النادر واذا خرج كان محفوظاً باعظم مظاهر الجلالة والأبهة وحيثما مرّ خرت الناس له سجداً . وله مجلس شورى ينمقد من الوزراء ويتولى الاحكام القضائية في المملكة سبع محاكم منها محكمة مخصوصة بأسرة الامبراطور وسائر امراء السلالة ونصف رجال المحاكم من الصينيين والنصف الآخر من المنشورين

واهل الصين ينقسمون الى سبع رتب وهي الولاة والجنود والعلماء والكهنة والفلاحون والصناع والتجار وللولاة عندهم مهابة عظيمة حتى انه لا يكلمهم احد الا وهو ساجد ولا يخرجون الا في المواكب الحافلة ومتى خرجوا تتحى لهم الناس ووقفوا وهم باسطون ايديهم حتى يجوزوا . والولاة رتب تميز بعضها من بعض بالملابس وليس لاحد ان يزين ملابسه بالذهب سواهم واكبرهم يمتازون بقلائد يجعلونها في اعناقهم . ومن علامات الشرف عندهم ريشة طاووس يجعلونها في كمهم ولا يهبها الا الامبراطور تعطى من يده

والمنتخبون لمقام الولاية لا يكونون الا من العلماء واما سائر الوظائف

فيمكن ان ينالها كل دارس بشرط ان يكون من اصحاب الاجازات ولذلك لا تكاد مدينةٌ عندهم ولا قريةٌ تخلو من المدارس وكلها تقام على نفقة الرعية لان الحكومة لا تمتد الا مدارس العاصمة التي يدرس فيها ابناء كباراء الدولة واما اغنياء البلد فيستحضرون مؤدبين لاولادهم الى منازلهم . وهم يشرعون في تلقين الاولاد معرفة الحروف منذ السنة الخامسة ولهم عناية بالغة بتجويد الخط لان التقارير التي ترفع الى المقامات العالية ينبغي ان تكون محكمة الرسم تقيه الرقعة وكتابتهم باقلام يتخذونها من وبر الارانب على مقبض من الخيزران ويمسك القلم عمودياً فوق الصحيفة بحيث تتحرك الاصابع وحدها وفي هذا من الصعوبة ما لا يسهل الا بالعادة . ومتى ختم الطلبة دروسهم يرسلون للامتحان في احدى المدن من الرتبة الثالثة فان افلحوا اعيد امتحانهم في مدينةٍ اخرى من الرتبة الثانية اي في عاصمة احدى الولايات ثم في باكين عاصمة المملكة وهناك تُعطى لهم رتبة تسين سي وهي بمنزلة دكتور

اما العلوم في الصين فمعظمها يدور على العلوم الادبية ولهم دواوين شعرية وروايات قصصية وتمثيلية ومن مشاهير شعرائهم الامبراطور كنج هي والامبراطور كيان لُغ وكان هذا الثاني شديد الكلف بالشعر حتى انه جمع نُخباً منه شرع في طبعها سنة ١٧٧٢ بلغ المطبوع منها سنة ١٨١٨ ما ينيف على سبعة وثمانين الف مجلد . وعندهم كثيرٌ من الكتب الادبية والفلسفية اشهرها مصنفات كنفوشيوس ومنشيوس وفلاسفة آخرين وقد ترجمت هذه الى اللاتينية وبعض لغات اوربا الحديثة . ولهم مؤلفات واسعة في الجغرافية

ولاسيا جغرافية البلاد الآسوية من الصين واليابان وتبت وتركستان وسائر بلاد آسيا العليا ولكلها خرائط محكمة عنها اخذ اهل اورپا في الاعصر المتوسطة ما نقص في خرائطهم من رسوم بعض البلاد الآسوية وجزائر المحيط . وهذه المؤلفات تشتمل على كل ما يتعلق بالملكة من وصف الامكنة والمياه والابنية والآثار والفرائب الطبيعية والصناعات المختلفة والمتاجر والمزروعات والاحكام والتواريخ والتراجم وغيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠ مجلداً ضخماً

ومن العلوم التي صنفوا فيها المواليد الثلاثة والطب والبيطرة والفلاحة والفنون الحربية والموسيقى ولهم موسوعات علوم مؤلفة من مئتي مجلد . وعندهم ميل شديد الى علم الهيئة الا انهم قلما ادركوا منه ولهم ندوة فلكية قديمة يجتمعون فيها لكن اعمالهم لا تتعدى وضع تقويم سنوي يتولى عمله قوم من الاجانب ولا بد فيه من الاشارة الى ايام السعد والنحس وهذا القسم منه موكول الى اناس من الصينيين . وهم يجهلون حساب الكسوف والخسوف ولذلك فانه عند وقوع حادثٍ منهما يكون له في بلادهم روع عظيم فيلبسون السواد وينقطعون عن الاعمال

اما علم الكيمياء فمع انه غير منزل عندهم منزلة احد العلوم فقد اصطاحوا على اشياء توصلوا اليها بالتجربة منها انهم يصفون الماء الكدير الذي يأخذونه من النهر بحيث يمكن ان يشرب على الفور وذلك بأن يخوضوه بانبوب اجوف من الخيزران يجعلون فيه قطعة من الشب . ومنها انهم يستخرجون دهن كل نوع من المواد ويجهزون الاصباغ الانيقة

ويدوفونها ويلوتون بها الحرير والقطن والورق وغيرها . ولهم خبرة وافية بسبك الحديد يصنعون منه آنية رقيقة خفيفة وينشونها بالطلاء وقاية لها من الكسر ويصنعون ايضاً الشبّه ويفرغون منه تماثيل . ومعلوم ان صناعة البارود عندهم قديمة من قبل التاريخ الميلادي الا ان بارودهم رديء وصنعتهم شائعة يعرفها كل احد بل من فروض الجند عندهم ان كل جندي يتولى صنع البارود الذي يلزمه بيده

واما صناعة الزجاج فهي عندهم منذ القرن السادس للميلاد وقد توصلوا الى ان يلبسوا صفائح الزجاج طبقة من الفضة ويستعملونها احياناً مرآتي لانهم عادة يستعملون الودائل وهي المرآتي المعدنية يتخذونها على الغالب من مزيج النحاس والزنك . وقد انتهت اليهم مرة ساعة من صنع اوريا فصنعوا مثلها فجاءت محكمة الصنعة فهم على الجملة اذكياء العقول سريعو الادراك مليون بالصنائع الدقيقة

اما الصنائع الحياية اي الميكانيكية التي اشتهر بها اهل الصين وبلغوا منتهى البراعة فيها فهي صناعة خرط العاج وصدف الدر ولهم من هذه الصناعة المراوح المشهورة والشكائك الكبيرة والحقاف المزخرفة وتماثيل الهياكل واشباهها وغير ذلك من الطراف اللطيفة البديعة النقش مع رخص اثمانها

ولهم في الخيزران صناعة واسعة فانهم يتخذون منه كراسيهم وموائدهم واسرتهم واشرعة مراكبهم وصواربها وقلوسها ويصنعون منه العربات وآلات رفع الماء وغيرها ويتخذون منه عجيبة يصنعونها ورقاً للكتابة وفي الجملة فهو

عندهم انفع من تفاريق العصا

وهم يصنعون الورق من عصافه الرزّ وغيره من الحبوب ومن قشر التوت والقطن والقنب والقراص وانواع أُخر من النبات وقد يكون الطبوق منه كبيراً حتى يكفي لأن يغشى به جدار غرفة متوسطة وورق الكتابة الذي يصنعونه يكون مصقولاً كالرقّ

وقد عُرِفَت صناعة الطبوع عندهم منذ القرن العاشر للميلاد وهم يتخذون له صفائح من الخشب يحفرونها ولا يستخدمون الحروف المتقطعة الا للجرائد او للكتب التي لا قيمة لها ولهم حبرٌ خاصٌ للطبع . ومن عاداتهم ان من طبع كتاباً يضع عليه خاتمه وهو يكون عادةً مربع الشكل عليه كتابةٌ بالقلم القديم والخبر الذي يختم به يكون على الغالب احمر ويحفر عليه اسم صاحب الكتاب او فقرةٌ حكيمية

اما الموسيقى فقديميةٌ في الصين يستعملونها في جميع الاحتفالات وليس عندهم ارقامٌ موسيقية ولكنهم يدلون على اسماء النغم والداوين بحروف هجائية على ان هذه الطريقة انما ارشدهم اليها احد المرسلين

ولهم المامٌ بالتصوير فانهم يصورون الازهار والشجر والمنازل والسفن وغير ذلك من المناظر تصويراً حسناً ولكنهم لا يدركون تمثيل القرب والبعد ولا يحسنون رسم الوجوه ولا اظهار المجسمات وهو خلاف ما قرره عنهم ابن بطوطة . ولهم يدٌ في صنع التماثيل من الخشب والحجر ولكنهم

يسئون نسبة الانسان والحيوان وصناعتهم الهندسية في متعى البساطة اما الطب فلا مدرسة له عندهم يتلقى فيها ولكن من اراد تعلم هذه

الصناعة لزم احد الاطباء فيعلمه اصولها واسرارها وكل علم الطيب عندهم ان يدرس حركة النبض . واما التشريح فلا اثر له عندهم لانه محرم عليهم ديناً واكثر علاجهم بغلايات العقاقير والمنعشات والحمية وعوض القصد يستخرجون الدم من ظاهر الجلد بان يفركوه بقطعة من النحاس فركاً شديداً وقد يفرزون ابراً في مواضع من البدن فيكون الشأن في معرفة المواضع التي تفرز فيها وكيفية اخراجها

اما ديانة الصينيين فانهم يقولون بمبدأين احدهما للخير والآخر للشر وان هذين المبدأين اتحدا فتولدت عنهما الكائنات وكان اول حي خرج من العدم يان كو وهو ابو البشر وكان نصفه على شكل الانسان والنصف الآخر على خلقة البهيمة ولبث سلالته كذلك ادهاراً متطاولة وكانت تتطور شيئاً فشيئاً بتدرج الطبيعة حتى بلغت ما هي عليه اليوم من كمال الخلقه والعقل

واقام الصينيون دهرأ مديداً يعبدون الهاً واحداً وهو الناشئ عن اتحاد المبدأين ويسمونه شُنغ تي ثم حدثت عندهم عبادة الارواح وتطرقوا منها الى عبادة الاوثان فاكثروا من المعبودات من كل نوع والها المشاهير من اسلافهم . وفي اوائل القرن الخامس قبل الميلاد ظهر لوشيوس فنقح شيئاً من عقائدهم ووضع لهم شرائع وعبادات ليكنه اقر عبادة الارواح والعظماء . وهو من جملة من الالهة بعد موته ويقولون انه وجد قبل خلق السماء والارض وانه تقمص شكل البشر واستحال عدة مرات وهو عندهم مثال العقل الاعلى . اما مولده فكان سنة ٦٠٤ قبل الميلاد وفي كتبهم ان

امه حبلت به احدى وثمانين سنة وولد وقد ابيض شعره ولذلك سمي
لوشيوس (لاوتسو) اي الطفل الاشيب . وله كتاب يسمى توتكين هو
مستودع جميع حكمته وهو يبحث عن اصل الكائنات ومصيرها ويردّها
باسرها الى علة اولى وفي كلامه مواضع تدل على انه كان يذهب الى التثليث
وجاء بعده كنفوشيوس وكان مولده سنة ٥٥١ قبل الميلاد ونسبه
ينتهي الى الامبراطور هونغ تي ولم يكن من مذهبه البحث عما وراء الطبيعة
ولا الفلسفة على علل الاشياء وطبائعها ولم يكذب بجهل في كتبه شي عن
صفة الله ولا النفس ولكن كل كلامه كان مقصوداً على وصف السيرة التي
يجب ان يكون الانسان عليها في الحياة الدنيا وما يتعين عليه اكتسابه من
العلم والفضائل اقتداءً بالسلف واستئناً بسنة من تقدم من حكمائهم وملوكهم
وهو الامر الذي تقرب به من قلوب الصينيين قالوا اليه بكليتهم وما برج
ملوكهم ينزلون انفسهم منزلة تلاميذه وبمذهبه تمذهب العلماء وتبعهم
السواد الاكبر من العامة حتى غلب على مذهب لوشيوس فكانت بين اتباع
المذهبين مناصبات طويلة تمكن في اثنائها اصحاب لوشيوس من اغراء
الامبراطور شي هونغ تي فنكّل باصحاب كنفوشيوس واحرق كتبهم ولم يسلم
منها الا كتاب واحد هو مرجع اتباعه الى اليوم

ثم انه في اواسط القرن الاول للميلاد طرأ على البلاد الدين البوذي
من ناحية الهند فدخل الناس فيه افواجا وتكاثر دعائه واتباعه بحيث انه
لم يدخل القرن الثالث حتى عم اكثر بلاد الصين . وكان سببه فيما ذكروا
انه جاء في بعض كلام كنفوشيوس حديثاً عن نفسه انه انما ارسل ليكون

ممهداً لزعيم كبير سيأتي من ناحية المغرب فلما كان التاريخ المذكور جهز
الامبراطور منغ تي سفناً وامرها ان تتوجه غرباً تبحث عن هذا الزعيم
فذهبت مسافةً طويلة في البحر حتى انتهت الى احدى جزائر الهند
فارست عندها ووجدت فيها تمثالاً لبوذا فحلمته الى الصين وكان ذلك سنة
٦٥ للميلاد ومذ ذلك انتشرت عبادة بوذا وعُرف عندهم باسم فوا والمذهب
مشهور فلا حاجة الى الاطالة به . ومع انتشار هذا المذهب اليوم وعمومه
فان عبادة السماء وكنفه وشيوس لم تبح شائعة في المملكة لانها مذهب
الامبراطور وخاصته غير ان هؤلاء كلهم اتما يتمذهبون به بحسب الظاهر
لمكانهم من البلاط واما في دختهم فاكثروا على مذهب فوا ويوتهم
مملوءة من اصنامهم

ونسك القلم على هذا القدر من الكلام على هذه المملكة العظيمة
وفي كل ما ذكرناه في هذا الفصل ولا سيما في فلسفة كل من هذه
المذاهب كلامٌ طويل لا يسعنا الخوض فيه في هذا المقام فاقصرنا منه على
ما ذكر طلباً للاختصار

كلام صحي في الشعر

لحضرة النطاسي البارع الدكتور اديب افندي الزيات

(تابع لما قبل)

تقدم لنا في عددٍ ماضٍ من هذه المجلة ذكر الطرائق الواجب اتباعها
في غسل الشعر وتنظيفه والآن نأتي على تمة ما في هذا الفصل كما وعدنا
استيفاءً للفائدة فنقول